بيان بتوسط حرف الا هذا ويوافق ما قبلها في التعريف والتنكير ونقابله قول الكوفيين
انه حرف عطف مشترك فعلى الاصح كانه قال وثبت كلامه الازلي السابق بيانه وانما لم
يقتصر على القران لانه كان مشتركا يطلق على المعنى النفسي القديم وعلى النظم المتلو
الحادث فخشي ان يسبق الى الفهم القاصر ان هذا المؤلف من الاصوات والحروف
قديم كما ذهب اليه جهلة سوا الحنابلة جهلا او عنادا عن الحدوث اي
الوجود بعد العدم لما مر من الادلة الدالة على امتناع قيام الحوادث به والتعبير
بالحدوث دون الخلق لضرورة النظم او لما سياتي فان العبارة المشهورة فيما بين
القوم ان القران مخلوق او غير مخلوق ولهذا تترجم هذه المسيلة بمسيلة خلق
القران واحذر ان خالفت هذا الامر الواجب وقلت بحدوثه انتقامه اي انتقام الله
منك وعقابه لك اما في الدارين او في احدهما وقد خالفت المعتزلة فقالوا بخلقه متمسكين
بوجوه منها انه علم بالضرورة حتى للعوام والصبيان ان القران هو هذا الكلام المؤلف
المنتظم من الحروف المسموعة المفتتح بالتحميد المختتم بالاستعاذة وعليه انعقد
اجماع السلف واكثر الخلف ومنها ما اشتهر وثبت بالنص والاجماع من خواص
القران من انه محدث وذكر ومنزل ومتلو ومتحدى به ومعجز ومرتب السور والايات
وفصيح وبليغ انما يصدق على هذا المؤلف الحادث لا المعنى القديم والجواب الوجيز
انه لا نزاع في اطلاق اسم القران وكلام الله تعالى بطريق الاشتراك او المجاز المشهور
شهرة الحقائق على هذا المؤلف الحادث وهو المتعارف عند العامة والقرا والاصوليين
واليه ترجع الخواص التي هي من صفات الحروف وسمات الحدوث فان القران
بهذا المعنى ذكر لقوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث ما ياتيهم من ذكر
من ربهم محدث وعربي لقوله تعالى انا جعلناه قرانا عربيا والعربي اللفظ
لاشتراك اللغات في المعنى ومنزل على النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة النص
والاجماع ولا خفا في امتناع نزول المعنى القديم بذات الله تعالى بخلاف اللفظ فانه
وان كان عرضا لا يزول الا بمحله لكن قد ينزل بنزول الجسم الحامل له وقد روي ان (الله؟)
تعالى انزل القران دفعة الى السما الدنيا فوضع في بيت العزة فحفظته الحفظة
وكتبته الكتبة ثم نزل منها بلسان جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فشيئا
عليه الصلاة والسلام
بحسب المصالح فان قلت ما قدر المنزل قلت كان على حسب المصالح قلة وكثرة
فربما نزل العشر من الايات كما صح في قصة الافك واول المومنين وتنزل الخمس منها
وتنزل بعض اية كما صح في نزول غير اولي الضرر وحدها وهي بعض اية فان قلت
فما معنى الانزال قلت لهم فيه اختلاف فمنهم من قال انه عبارة عن اظهار القراة
ومنهم من قال ان الله الهم كلامه جبريل وهو في السما وعلمه قراته ثم جبريل اداه في الارض
فان قلت فما كيفية التادية قلت ذكروا فيها طريقتين احدها ان النبي صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية واخذه من جبريل وثانيهما
ان الملك انخلع الى البشرية حتى ياخذه الرسول منه والاول اصعب الحالين والمراد
بالانخلاع الظهور بتلك الصورة لا مفارقة الطبع بالمرة كما هو ظاهر فان قلت
فما كيفية تلقي جبريل له قلت قال الطيبي لعله تلقفه من الله تلقفا روحانيا
او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول ويلقيه عليه وفسر بعض
المحققين التلقف الروحاني بالالهام فان قلت ما الذي نزل على محمد صلى الله
عليه وسلم قلت فيه ثلاثة اقوال احدها انه اللفظ والمعنى وان جبريل
حفظ القران من اللوح المحفوظ ونزل به والثاني ان جبريل انما نزل بالمعاني
خاصة وانه صلى الله عليه وسلم علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب وتمسك
قايله بقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك والثالث ان جبريل
القى عليه المعنى وانه عبر بهذه الالفاظ بلغة العرب وان اهل السما يقرونه بالعربية
ثم انه نزل به كذلك بعد ذلك واخرج ابن ابي حاتم عن سفيان الثوري انه لم
ينزل وحي الا بالعربية ثم ترجم كل نبي لقومه فان قيل المكتوب في المصحف هو
الصور والاشكال لا اللفظ ولا المعنى قلت بل اللفظ لان الكتابة تصوير اللفظ
بحروف هجايية نعم المثبت في المصحف هو الصور والاشكال فان قيل من تلك
الخواص انه متحدى به والقديم دايم فيكون مقارنا للتحدي ضرورة فلا يكون ذلك
من خواص الحادث قلت معناه ان يدعو العرب الى المعارضة والاتيان بالمثل
وذلك لا يتصور في الصفة القديمة فان قيل من تلك الخواص انه ينسخ وينسخ
والنسخ كما يكون للفظ يكون للمعنى قلنا نعم لكن مخصص الحادث لان القديم
لا يرتفع ولا ينتهي فان قلت النسخ قد يكون للحكم دون اللفظ قلنا نعم لكن
بمعنى انقطاع التعلق التنجيزي وهو حادث فان قيل وقوع كلمة كن عقيب
ارادة تكوين الاشيا على ما نطقت به كلمة اذا وان دل على حدوثها لكن تعميم
عموم لفظ شيا من حيث وقوعه في سياق النفي معنى اي ليس قولنا لشيء مما
يقصد ايجاده واحداثه كما في قوله عليه الصلاة والسلام وانما لامرئ ما نوى يقتضي
قدمها اذ لو كانت حادثة لكانت واقعة بكلمة كن اخرى سابقة ويتسلسل
وان جعل هذا الكلام لا على حقيقته بل مجازا عن سرعة الايجاد فلا دلالة فيه على
حدوث كن قلت لا حقيقة كن ليس قولنا لشي من الاشيا عند تكوينه الا
هذا القول وهو لا يقتضي ثبوت هذا القول لكل شي الا ترى انك اذا قلت
ما قولي لاحد من الناس عند ارشاده الا ان اقول له تعلم لم يدل على انك تقول لكل
احد تعلم بل على انك لو قلت في حقه شيا لم يكن الا هذا القول واجيب ايضا بان
المراد بالمذكور العربي المنزل المقروء المسموع المكتوب الى اخر الخواص هو المعنى القديم

Copyright © King Saud University